حركة التّجديد النّحويّ عند المحدثين

-دراسة وصفيّة لنماذج عربيّة-

نكروف أسماء*

جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت
nekrouf.asmaa@cuniv-tissemssilt.dz

تاريخ الاستلام: 18-05-2023 **تاريخ القبول: 08-06-2023**

ملخص:

تهدف هذه الدّراسة إلى الوقوف على محاولات تجديد النّحو العربيّ عند المحدثين، من خلال قراءة تجارب لسانية عربيّة، إذ رفع الكثير منهم راية الإصلاح بحثا عن منهج جديد يعالج ما فسد منه، وتوالت محاولات التّيسير في العصر الحديث بين اتجاه تراثي تأصيلي، يحاول إعادة الموروث اللغوي/ النحوي العربي بشكله ومضمونه القديم، واتّجاه حداثي يتبنّى المعطيات اللسانية الغربية، ويعلن القطيعة مع التراث اللغوي، وآخر: توفيقي وسطي، يحاول التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، هذا ما سنتطرّق إليه في هذه الورقة البحثيّة برصد جهود وإسهامات اللّسانيّين العرب وأهمّ آرائهم في حركة التّجديد النّحويّ.

الكلمات المفتاحية : التّجديد - التّيسير - النّحو العربيّ - المحدثون.

*المؤلف المرسل: نكروف أسماء البريد الالكتروني: nekrouf.asmaa@cuniv-tissemssilt.dz

Mouvement de régénération grammaticale aux modernes -une étude descriptive des modèles arabes-

Résumé :

Cette étude vise à identifier les tentatives de régénérer la grammaire arabe lorsque les mises à jour En lisant les expériences linguistiques arabes, beaucoup d'entre eux ont soulevé la bannière de la réforme à la recherche d'une nouvelle approche qui s'attaque à la corruption et les tentatives de moderne-les tentatives de restaurer l'héritage linguistique/grammatical arabe dans sa forme et son contenu anciens, une direction moderniste embrassant les données linguistiques occidentales, proclamant l'aliénation avec l'héritage linguistique, et un autre : Compromis médiocre, essayer de concilier authenticité et contemporain, c'est ce que nous aborderons dans ce document en surveillant les efforts et les contributions des linguistes arabes et leurs opinions les plus importantes dans le mouvement de renouvellement grammatical.

Mots clés : Renouvellement - Facilitation - Grammaire arabe - Modernes.

Grammatical regeneration movement at updates -a descriptive study of arabic models-

Abstract :

This research highlights the efforts undertaken by modernists to reform Arabic grammar. Our study is conducted on some Arabic linguistic experiments. Modernists were looking for new methods to restore what is outdated.

In modernist era, attempts to simplification fall into many movements: the historical traditional movement tends to revitalise the content and form of the traditional Arabic grammar, the modernist movement adopts the foundations of western linguistics; hence breaking with linguistic heritage and the in-between movement draws modernism and heritage together.

Thus, our research monitors the Arab linguists' efforts, opinions and contributions to the grammatical modernist movement.

Keywords : Reformation - Simplification - Arabic grammar - Modernists.

مقدمة

تعدّ قضيّة تيسير النّحو العربيّ وإصلاحه من أهمّ القضايا الّتي نالت اهتمام اللّغويّين العرب قديما وحديثا، ويبدو أنّ ثورة التجديد في النحو العربي، هي ثورة ابن مضاء القرطبي، التي قامت على الرفض والاعتراض، وفي العصر الحديث ظهرت محاولاتٌ كثيرةٌ لتجديد النحو وتيسيره، حيث أقر جلّ الدارسين المحدثين أنّ النحو العربي في حاجة ماسة للإصلاح والتجديد في ضوء ما تقترحه المناهج والمدارس اللسانية الحديثة، دون الإخلال بأصول اللغة والنحو التي اعتمدها القدامى، لاستخلاص نظرية نحوية وفق الشّروط العلميّة، الّتي تنفتح على المناهج اللسانية المعاصرة، وتنسجم مع معطيات التراث اللغوي العربي،

فظهرت ثلاثة اتجاهات، الأول: يدعو إلى قراءة التراث بشكله القديم، والثاني: يحاول التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، والثالث: يؤمن بالمناهج اللسانية الحديثة داعيا إلى فصلها عن المدونة التراثية.

ويهدف هذا البحث إلى: تحديد ماهية التّجديد النّحويّ وتيسيره، ورصد أهمّ إسهامات وجهود اللّسانيّين العرب المحدثين في حركة التّجديد النّحويّ، من خلال قراءة بعض التّجارب اللّسانيّة في ضوء المناهج والنظريات الحديثة، وينطلق هذا البحث من الإشكاليّة التّالية: فيم تتمثّل جهود اللّسانيّين العرب المحدثين في تجديد النّحو العربيّ وتيسيره؟

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة، ولتحقيق الأهداف المنشودة من هذا البحث استدعت منّا تقسيم البحث إلى مقدّمة وخاتمة تتخلّلهما العناصر التّالية:

- أوّلا: التّجديد النّحويّ (الإطار المفاهيميّ).
- ثانيا: محاولات التجديد في العصر الحديث، وتحت هذا الإطار أدرجت العناصر التّالية:
  1. التّجديد النّحويّ في إطار التّراث العربيّ.
  2. التّجديد النّحويّ في ضوء المنهج الوصفيّ.
  3. التّجديد النّحويّ في ضوء المنهج التوليدي التحويلي.
  4. المنهج التّأصيلي

1. التّجديد النحوي: المفهوم والاتّجاهات:

مصطلحات كثيرة شاعت وانتشرت بين الباحثين والدارسين في عصرنا هذا، كلّها تصبّ في حقل التّجديد والتّيسير النّحوي؛ منها: (التيسير، والتّجديد، والإحياء، والإصلاح، والتّقريب، والتّبسيط، وغيرها).

1.1. التّجديد في اللّغة:

ورد في المعاجم العربيّة، نذكر منها ما ذكره المصباح المنير للفيّومي (ت 770 ه) التّجديد: مصدر مشتقّ من الفعل جدّد، جدّ الشيء يجدّ بالكسر جدّة: فهو جديد، وهو خلاف القديم، وجدّد فلان الأمر وأجدّه واستجدّه؛ أحدثه، جدّد

الشّيء: صيّره جديدا (الفيومي، (د. ت)، ص 92).

ممّا سبق ذكره يتّضح لنا أنّ معنى التّجديد اللّغويّ كلّ ما له صلة بالجديد، وهو نقيض البلى، ومن الناحية المورفولوجية نجد أن هذا المصطلح على وزن (تفعيل)، وكلّ ما جاء على هذا الوزن يحمل الحركة والتّغيير؛ وهنا نلاحظ علاقة بين الصّيغة الصّرفيّة ومقصديّة حاملي راية تجديد النّحو العربيّ الّتي تتمثّل في إعادة النّظر في أسس النّحو العربيّ.

1.2. اصطلاحا:

"التّجديد": هو اتّجاهٌ جديدٌ يدعو إلى أن يتجاوز الباحث فكرة التّيسير، وذلك للوصول إلى تغيير في المنهج وأن يأتي الباحثون بنحو يتّسمُ بالجدّة، مع المحافظة على أصول النّحو القديم، وهو محاولةٌ لتفسير القديم تفسيراً جديداً يلائمُ العصر، ويُبقي على القديم.

وفي هذا يرى عبد الرّحمان الحاج صالح أنّ التّجديد النّحويّ لا يكون إلّا بتطهير اللّسان من اللّحن، والعمل بقواعد النّحو، وتمثّلها في الحياة اليوميّة الاجتماعيّة على نطاق واسع، وفي هذه المسألة قرّر: «أنّ تجديد النّحو وتيسيره هو تبسيط الصّورة الّتي تعرض فيها القواعدُ على المتعلّم، فعلى هذا ينحصر التّبسيط في كيفيّة تعليم النّحو لا في النّحو ذاته؛ لأنّه علمٌ محضٌ» (صالح ا.، 1973، ص 22).

من هذا القول نستفيد: أنّ تيسير النّحو يقصد به: تسهيل طرق وآليّات تعليمه، بحيث تبسّط من خلال عرض قواعده في قالب جديد وسهل، وهذا لا يكون إلّا في ضوء المناهج اللّسانيّة الحديثة.

1.3. بين التيسير والتجديد النحوي:

لعلّ "التيسير" من المصطلحات التي زامنت وزاحمت "التجديد"؛ لاشتراكهما في الغاية من تعلّم النحو، وهي: التسهيل، والقضاء على كلّ صعوبة وعسر، والجامع بين المصطلحين كونهما يعنيان إعادة النظر في القواعد النحوية التي وضعها النحاةُ القدامى، ومحاولة تصنيف قواعد نحوية في إطار وصف القدماء لها بمصطلحاتهم وتقسيماتهم (خليل، 1996، ص 83).

اقترن مصطلح التّجديد مع التّيسير، فهناك من يراهما مترادفين للحدّ من مساحة أزمة المصطلح وعدم الاتّفاق على مصطلح واحد، وهناك من يجعل القضيّة أكثر دقّة، فيتّسع النّظر إلى أنّ التّجديد يعدّ مهمّة لغويّة عامّة، أمّا التّيسير فهو مهمّة لغويّة خاصّة، فالتّيسير حسب رأيهم لا يحلّ مشكلة النّحو العربيّ، لذا يشترط أن يسبق التّيسير خطوة التّجديد (النّعيمي، (د. ت)، ص 12).

2. محاولات التجديد النحوي في العصر الحديث:

لمّا أصبح النّحو مادّة تسبّب السآمة والضّجر للمتعلّمين، رفع المحدثون رايات التجديد والتّيسير النّحويّ لإزالة ما أصابه من غموض وتأويلات، وإخراجه في حلّة يسيرة، لتحقيق منفعة الطّلبة وترغيبهم فيه؛ وها هي أشهر محاولات التّجديد النّحويّ في العصر الحديث.

1.2. التّجديد في إطار التّراث اللّغويّ العربيّ:

1. محاولة شوقي ضيف:

يعدّ شوقي ضيف من أشهر المهتمّين بتجديد النّحو العربيّ؛ ولعلّ مؤلّفاته خير دليل؛ إذ حقّق كتاب (الرّدّ على النّحاة) لابن مضاء القرطبيّ، داعيا للاستجابة لدعوته عام 1947م، ثمّ أصدر كتاب (تجديد النّحو) عام 1982م، وكتاب (تيسير النّحو التّعليميّ قديما وحديثا مع نهج تجديده) عام 1986م، وختم إنتاجه التجديدي بكتاب (تيسيرات لغويّة) عام 1990م (طه، 2003، ص 29.).

إنّ تجديد النّحو عند شوقي ضيف تمثّل في: تصنيفه تصنيفا جديدا، من خلال إعادة تنسيق أبوابه، وإلغاء الإعرابين المحلّي والتّقديريّ في المفردات والجمل، والاستغناء عن إعراب الكلام الذي لا يفيد في سلامة النّطق (ضيف، (د. ت)، ص 05).

لقد أبدى شوقي ضيف تذمّره من قضيّة نظريّة العامل الّتي تتبّع فيها خطوات ابن مضاء القرطبيّ متبنّيا آراءه حولها؛ إذ رآها فاسدة لما جرّته من علل وأقيسة وتقديرات تزيد حجم الغموض والإبهام، فهذا في نظره إفساد للنّحو العربيّ، وداءٌ قديمٌ استفحل بعد النّحاة القدامى، أغرق النّحو العربيّ في مسائل ومشاكل لا طائل منها (القرطبيّ، 1947 ، ص ب).

يبدو لنا ممّا سبق ذكره فيما يخصّ آراء شوقي ضيف حول العامل أنّه قد انتهج منهج ابن مضاء القرطبيّ، إذ يرى هو الآخر أنّ هذه القضيّة جدل عقيم زادت النّحو العربيّ غصّة أتعبت النّحاة، وتسبّبت في نفور المعلّمين والمتعلّمين منه، فلا عامل إلّا المتكلّم؛ فهو الّذي يرفع، وينصب ويجرّ الكلمة، وما سوى هذا إلّا خيال ليس له من الصّحّة نصيب.

2. محاولة إبراهيم مصطفى (ت 1962م):

أقرّ إبراهيم مصطفى من خلال كتابه: "إحياء النّحو" بأنّه يسعى إلى رفع إصر النحو القديم، ويبدلهم منه أصولا سهلة تقرّبهم من العربيّة، وتهديهم إلى حظّ من الفقه بأساليبها (مصطفى، (د . ت)، ص أ).

كما أكّد على ضرورة اعتماد أصول جديدة ينبني عليها النّحو من جديد، مطالبا بإلغاء نظريّة العامل واستئصالها من جذورها؛ وقد تمثّلت رؤيتُهُ التّجديديّةُ للنّحو فيما يلي (نفسه ا.، ص 41):

- ليس الإعراب حكما لفظيا خالصا بل هو إشارة إلى معنى؛ لأنّ ما يفيد هو السؤال عن معاني الحركات وليس عن عاملها.
- الفتحة في العربية العامية (للّغة العربية) نظير للسّكون، وباقي الحركات أعلام لمعان.
- ليس هناك علامات أصليّة وعلامات فرعيّة، وهنا عدّ الضّمة علم الإسناد، وهي الأصل الأوّل، والكسرة علم الإضافة
- لا داعيَ إلى البحث عن العلل الموجبة لعدم الصّرف، وعن الممنوع من الصّرف لعلّة، أو لعلّتين؛ فالتنوين علامة التنكير وعدمه علامة التعريف.

ووضّح إبراهيم مصطفى بأنّ دعوته التّيسيريّة التجديدية للنّحو العربي تنبني على قاعدة رئيسة، تتمثّل في دراسة أحكام نظم الكلام وأسرار تأليف العبارات؛ لأنّ النّحو هو قانون تأليف الكلام؛ هذا ما ذكره في تصريحه: «فإنّ النّحو- كما نرى وكما يجب أن يكون- هو قانون تأليف الكلام وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة والجملة مع الجمل، حتى تتّسق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها» (نفسه، ص 01).

وفي ختام هذه المحاولة نذكر إفادة طه حسين بما قدّمه إبراهيم مصطفى في تجديد النّحو العربيّ حيث شهد بأنّه قد وفّق لإحياء النّحو، وفي هذا قال: «فالكتاب كما ترى، يُحيي النحو؛ لأنه يصلحه، ويُحيي النحو؛ لأنه يُنبّه إليه من اطمأنوا إلى الغفلة عنه، وحسبك بهذا إحياء» (نفسه، ص ع).

2.2. التّجديد النّحويّ في ضوء المنهج البنيويّ الوصفيّ:

ظهر فريقٌ من اللغويين العرب الذين تلقّوا مناهج علم اللغة الحديث في أوروبا أثناء دراستهم هناك، ويمثّلهم: إبراهيم أنيس، وتمام حسّان، وعبد الرحمن أيوب، ومجال التجديد الموجه للنحو العربي هو يحاكي ويقلّد. في كثير من أفكاره. اللسانيين الوصفيين الأوروبيين، وهذا ما يشير إليه عبده الراجحي بقوله: «وحين انتقل المنهجُ الوصفيُ إلى الدرس العربي، بعد اتّصال أساتذتنا وباحثينا به في الغرب، بدأت هذه الانتقادات التي أخذها الوصفيون على النحو التقليدي الأوروبي تظهر في معظم المؤلفات الحديثة الّتي تعرض للنحو العربي... » (الراجحي، 1979، ص 48).

والمتأمّل في جهود هؤلاء الباحثين يجد أنّهم كانوا يهدفون لتيسير النّحو العربيّ وتجديده وتبسيط مادّته من أجل تعليمه، وهذا وفق منهج وصفيّ يتّصف بالنّزعة الغربيّة، ومنهج آخر يمتدّ بجذوره في التّراث اللّغوي العربيّ.

1. محاولة إبراهيم أنيس:

كان لإبراهيم أنيس موقف واضح وجريء من الإعراب، إذ دعا إلى إلغائه في خضمّ محاولته التجديدية للنحو العربي، فهو ينظر إلى الإعراب مجرّد قصّة استمدّت خيوطها من ظواهر لغوية متناثرة بين القبائل العربية، ويرى أنّ الأصل في جميع كلمات اللغة ألّا تُحرّك أواخرها إلا حين تدعو الحاجةُ إلى ذلك. ويحتجّ أنيس بإلزاميّة الاستغناء عن الإعراب أنّه غير موجود في اللّهجات الحديثة فقد اندثر في اللّغات السّامية الأخرى، هذا ما أقرّه في تصريحه: «لا أكاد أتصوّر أنّ العربيّة وحدها تحتفظ بمثل هذا النّظام الإعرابيّ الدّقيق، هذا النّظام المعقّد الّذي أعيى السّابقين واللّاحقين من أبناء العربيّة، ثمّ يندثر كلّ هذا في اللّغات السّامية الأخرى غير مخلّف فيها إلّا تلك الآثار الضّئيلة النّادرة» (أنيس، 1966، ص 202).

ويخلص إبراهيم أنيس إلى فكرة مفادها: أنّ أهمية العلامات في أواخر الكلمات لا تكمن في دلالتها على المعاني، وإنّما هي مجرّد حركات للتخلّص من توالي تتابع الحروف في وسط الكلمة، يقول: «فإذا حللنا معظم عبارات اللغة وجملها، نجد أنّ ما يسمى بحركات الإعراب يمكن أن تعدّ حركات للتخلّص من ثلاثة أو أربعة حروف في وسط الكلام ... لأنّ تحريك أواخر الكلمات لم يكن ضروريّا في القلّة من الأحيان، ولا يتطلّب نظام توالي الحروف العربيّة» (نفسه، ص 241).

وعمل إبراهيم أنيس التّجديديّ لم ينتج من فراغ، بل هو مشدود إلى رؤيا لغويّة تراثيّة، فهو يسير على خطى محمد بن المستنير الملقّب بقطرب (ت 206 ه)، الذي عاصر سيبويه، حيث يرى قطرب أنّ الحركات لا دور لها في الجملة سوى السرعة في الكلام، يقول: «وإنّما أعربت العربُ كلامها؛ لأنّ الاسم في حالة الوقف يلزمه السّكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسّكون أيضاً لكان يلزمه الإسكانُ في الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الإدراج، فلمّا وصلُوا وأمكنهم التّحريكُ جعلوا التّحريكَ معاقباً للإسكان ليعتدل الكلامُ، ألا تراهم بَنَوا كلامهم على متحرّك وساكن، ومتحركَين وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة، ولا في حشو بيت، ولا بين أربعة أحرف متحرّكة؛ لأنَّهم في اجتماع السّاكنين يُبطئون، وفي كثرة الحروف المتحرّكة يستعجلون، وتذهب المهلة في كلامهم فجعلوا الحركة عقب الإسكان» (الزجاجي، 1979، ص 70).

إنّ دلالة المعنى وفق ما ذكره إبراهيم أنيس لن تتحقّق لنا بالحركة الإعرابيّة الّتي وضعها النّحاة لضرورة الانسجام الصوتيّ، وإنّما تتأتّى بموضع اللّفظ داخل نظام الجملة، ووظيفة الإعراب -حسبه- لا تعدو أن تكون صوتيّة، لوصل الكلمات بعضها ببعض، وتحقيق الانسجام والتّناسق الصّوتيّ؛ فالنحاةُ القدامى لجؤوا إلى التّحريك بعد الإسكان لتعديل الكلام، بحثا عن الخفّة، إذ الحركة الإعرابيّة ليست إلّا لوصل الكلام وفق رأي إبراهيم أنيس وتأثّره بفكرة قطرب.

3. أسس نظريّة الموقع الإعرابيّ:

من العناصر التي قدّمها إبراهيم أنيس في التجديد النحوي الموقع الإعرابي، وتتلخّص أسسه فيما يلي (أنيس، مر س، ص 225):

1. ليس للحركة الإعرابيّة مدلول، كما أنّها لا تحدّد معاني الفاعليّة والمفعوليّة، والإضافة أو غير ذلك.
2. فائدة الحركات لا تعدو أن تكون للتّخلّص من التقاء السّاكنين، ووصل الكلام ويرجّح هنا عاملين:
   - إيثار بعض الحروف لحركة معينة كإيثار حروف الحلق للفتحة مثلاً.
   - الميل إلى تجانس الحركات المتجاورة، أو ما يسمى بـ: المناسبة الصوتية.
3. حركات أواخر الكلمات ليست مسؤولة عن تحديد الفاعليّة والمفعوليّة ونحو ذلك، وإنّما من موضع كلّ من الفاعل والمفعول به وغيرهما من الجملة الّذي حدّدته أساليب اللّغة.

1. محاولة تمّام حسّان (ت 2011 م):

يُعدّ تمّام حسّان رائدا لقضيّة تجديد النّحو وتيسيره في ظلّ اللّسانيّات العربية الحديثة، وظهرت دعوته في تجديد النّحو من خلال كتابيه:

الأول: كتاب (العربيّة بين المعياريّة والوصفيّة: عام (1958م)، اتّجه من خلاله إلى دراسة المعياريّة والوصفيّة بعد رؤيته لشكوى من داء في النّحو العربيّ صعب تشخيصه، لذا فكّر في الدّراسات العربيّة القديمة في ضوء المناهج اللّغويّة الحديثة، ليتفطّن بعد ذلك أنّ مكمن الدّاء تغلّب المعياريّة في منهج حقّه الاعتماد على الوصفيّة (تمام، 1992، ص 11).

والثاني: كتاب (اللّغة العربيّة مبناها ومعناها): عام (1973م)، وقد اهتدى في هذا الكتاب إلى أفكار نافعة في فهم النّحو العربيّ وتيسيره وتفسير ما أحبّ النّحاة ووضعوا في الخلاف نحوه في ظلّ أفكار النّحاة والدّراسات الحديثة (تمام، 2006، ص 52).

وقد ربط تمام حسان تجديده النحوي بالنظرية الوصفية، وجعلها مرجعا له في إعادة بناء كثير من القضايا في النحو العربي، يقول: «لهذا فكّرتُ في أمر الدراسات العربية القديمة من حيث المنهج لا من حيث التفاصيل، وجعلتُ تفكيري في أمرها مستضيئا بمناهج الدراسات اللغوية الحديثة» (تمام، 1992، ص 57). وغير ذلك فقد اتّخذ تمام حسان لنفسه منهجا وصفيا عربيّا، ولم يكن يربطه بالمنهج الوصفي البنيوي السوسيري إلا خيطٌ رفيعٌ.

تمثّلت آراؤه التّجديديّة للنّحو العربيّ فيما يلي:

- دعا إلى تحرير النّحو العربيّ من التّجريد، والخروج بنحو عربيّ يخاطب حواسّ المتعلّمين بالاستناد إلى القرائن اللّفظيّة، والاعتماد على المنهج الوصفيّ والطّرق التّربويّة الحديثة (تمام، 2006، ص 52).
- اقترح تقسيما جديدا للكلم، مبنياً على استخدام دقيق للمعنى والمبنى، فالاسم عنده خمسة أقسام:

1. الاسم المعيّن؛ المسمّيات الواقعة في نطاق التّجربة كالأعلام، والأجسام والأعراض المختلفة.
2. اسم الحدث؛ يطلق على المصدر، واسم المصدر، واسم المرّة، واسم الهيئة.
3. اسم الجنس؛ اسم الجنس الجمعيّ واسم الجمع.
4. الميميّات؛ اسم الزّمان والمكان، والآلة مستثنيا المصدر الميميّ.
5. الاسم المبهم؛ يقصد به الأسماء الّتي لا تدلّ على معيّن كالأوقات والجهات (العلوي ش.، 2009، ص 236).

أمّا الفعل، فقد عرّفه من حيث دلالته على الحدث؛ إذ تكون دلالة المصدر على الحدث مطابقة، وكذا من حيث دلالته على الزّمن دلالة مورفولوجيّة من شكل صيغته (تمام، 1998، ص 107).

وأدرج ضمن قسم الضّمير أقساما فرعيّة هي: ضمائر الشّخص، ضمائر الإشارة، ضمائر الموصول (العلوي، مر س، ص 237).

لقد رفض تمّام حسّان نظريّة العامل مبيّنا فساد التّعليل الّذي هو أصل العامل، وهذا ما جعله يصّرح: «الحقيقة أن لا عامل، لأنّ وضع اللّغة كمنظمة من الأجهزة، وكلّ جهاز منها يتكامل مع باقي الأجهزة ويتكوّن من الطّرق التّركيبيّة العرفيّة المرتبطة بالمعاني اللّغويّة، فكون الفاعل مرفوعا في النّحو فلأنّ العرف ربط بين فكرتي الفاعليّة والرّفع دون سبب منطقيّ» (تمام، 1992، ص 57).

بعد رفضه لفكرة العامل النّحويّ اهتدى إلى بديل عنه تمثّل في نظريّة القرائن النّحويّة الّتي رآها لا تصمد أمامها نظريّة العامل، وقد انتهج تمّام حسّان في تأسيسه لنظريّة القرائن منهج عبد القاهر الجرجاني حين وضع نظريّة النّظم منطلقا من فكرة التّعليق، وهنا قال: «وفي رأيي – كما كان في رأي عبد القاهر على أقوى احتمال – أن التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي، وأن فهم التعليق على وجه كاف وحده للقضاء على العمل النحوي والعوامل النحوية؛ لأنّ التعليق يحدّد بواسطة القرائن في معاني الأبواب في السياق ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعا» (نفسه، ص 189).

وتنقسم هذه القرائن إلى: (تمام، 2007، ص 98)

1. قرائن لفظيّة: العلامة الإعرابيّة، والرّتبة، والصّيغة، والمطابقة، والرّبط، والتّضام، والأداة، والتّنغيم.
2. قرائن معنويّة: الإسناد، والتّعدية، والغائيّة، والمعيّة، والظّرفيّة، والملابسة، والتّفسير، والإخراج، والمخالفة (تمام، 1998، ص 190) وتمّام حسّان من أبرز الباحثين واللّغويين المحدثين الذين أقرّوا بدور العلامات الإعرابيّة في تحديد المعاني، ولكن ذلك لن يتمّ إلّا بتضافر مجموعة من القرائن المعنويّة واللّفظيّة، وربط الإعراب ببقيّة المستويات اللّغويّة؛ فالتّركيب لا فصل فيه، هذا ما وضّحه من خلال قوله: «يتوقّف إعراب نصّ ما على وظائف الأصوات، ووظائف المباني، ووظائف القرائن، ونظام العلاقات، فلا يفصل في الذّهن بين كلّ ذلك إلّا في التّحليل اللّغويّ أمّا في التّركيب فلا فصل» (نفسه، ص 185).

إنّ تمّام حسّان لا ينكر الوظيفة المعنويّة للإعراب؛ ولكنّه في الوقت ذاته يعتبره قرينة لا يمكنها تحديد المعاني منفردة عن باقي القرائن فـ: «المعنى النّحويّ لا يعتمد في كلّ أحواله على الإعراب ولا يستغنى في كلّ أحواله عنه ولا يقوم إلّا في القليل النّادر على قرينة واحدة لا يستغنى عنها، وإنّما شأنه أن يعتمد على عصبة من القرائن الّتي تتضافر على بيان المعنى» (تمام، 1993، ص 209).

يرى تمّام حسّان أنّ النّحاة قد أخطأوا في الاعتماد على العلامة الإعرابيّة لوحدها؛ لأنّها غير كافية في تحديد المعاني النّحويّة، إن لم تتضافر مع مجموعة من القرائن لسدّ باب التّأويل والتّفسير، هذا ما أكّده من خلال قوله: « إن العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى، فلا قيمة لها بدون ما أسلفت القول فيه تحت اسم "تضافر القرائن"، وهذا القول صادقٌ على كل قرينة أخرى، وبهذا يتّضح أن العامل النحوي وكل ما أثير حوله من ضجة لم يكن أكثر من مبالغة أدى إليها النظر السطحي والخضوع لتقليد السلف والأخذ بأقوالهم على علاّتها» (تمام، 1998، ص 205).

لقد ذهب مذهبا وسطا من خلال تصوّره حول جدليّة الإعراب والمعنى؛ فلم ينكر دور الإعراب ووظيفته في تحديد المعنى، ولكنّه يسهم في الكشف عن دلالات تلك المفردات في ظلّ مجموعة ووظيفته في تحديد المعنى، ولكنّه يسهم في الكشف عن دلالات تلك المفردات في ظلّ مجموعة من القرائن؛ أمّا الغاية من الإعراب حسب اعتقاده فتكمن في التّعليق؛ أي: الوصول لمعرفة العلاقات السّياقيّة بين مفردات التّركيب، وهنا يظهر تأثّره بالنّظريّة السّياقيّة لفيرث.

والعامل، في نظر تمّام حسّان عاجزٌ عن تفسير الظّواهر النّحويّة والعلاقات السّياقيّة، بينما فكرة القرائن توزّع اهتمامها عدلا؛ إذ لا تعطي للعلامة الإعرابيّة أكثر ممّا تعطيه لقرينة أخرى، كما أنّ كلّ القرائن مسؤولة عن أمن اللّبس، ووضوح المعنى، ولا تستعمل واحدة منها بمفردها للدّلالة على المعنى؛ وإنّما تجتمع القرائن متضافرة للدّلالة على المعنى النّحويّ (نفسه، ص 232).

وملخّص المنهج الوصفيّ في تجديد النّحو العربيّ أنّه يركّز على الجانب الشّكليّ الخارجيّ للّغة عموما، كما أنّه ينفر من التّعليل القائم على التّأويل، والتّقدير، والمُقايسة العقليّة لا الشّكليّة بين ظاهرتين أو حُكمين؛ فهم يفضّلون العلّة المقبولة (هكذا نطقت العربُ).

1.3. التّجديد النّحويّ في ضوء المنهج التّوليديّ التّحويليّ:

احتلّ المنهج التّوليدي التّحويلي مكانة كبيرة وانتشارا واسعا بين المدارس اللّغوية وسمّي بالمنهج التّفسيري، كونه يقوم على الاهتمام بالجانب التّحليلي التّفسيري للوقائع اللّغوية بدلا من المنهج الوصفي الّذي يحاول الوصول إلى بنية اللّغة وميزاتها وعلاقاتها؛ فتشومسكي يُنكر أن يكون الوصفُ النّحويُ الكافي نشاطا تصنيفيا قائما على العمليات والإجراءات التطبيقية، وإنّما دوره فصل الجمل النحوية عن الجمل غير النحوية (الفهري، 1993، ص 63).

يسعى هذا المنهجُ إلى محاولة بناء نحو جديد يتجاوز التّعليل في النّحو العربي، والمتتبع لمسار المنهج التّوليدي في الدرس اللغوي العربي قد خطا خطوات حثيثة للرقي بعلم النحو وهذا من خلال المجهودات العلمية الّتي تكاد تنحصر في بعض الأسماء؛ أمثال: (محمد علي الخولي، وعبد القادر الفاسي الفهري، ومازن الوعر، وخليل عمايرة، وميشال زكريا، وغيرهم كثير).

1. محاولة مازن الوعر (ت 2008):

إنّ ميدان الحركة التّجديديّة في النّحو العربيّ حافل بالباحثين العرب، من بينهم أيضا: مازن الوعر الّذي مزج هو الآخر بين التّراث والمناهج اللّسانيّة الحديثة، محاولا من خلال نظرته المجدّدة تكييف القديم في ظلّ الأفكار والنّظريّات المعاصرة، وصاغ مبادئ نظريّته اللّسانيّة وفق الشّروط التّالية (الوعر، 1984، ص 113):

- العلميّة والموضوعيّة.
- الاعتماد على موادّ لغويّة عالميّة في التّحليل اللّسانيّ.
- المرونة في المبادئ النّظريّة والتّطبيقيّة.

لقد صاغ رؤيته التّجديديّة من ثلاثة مصادر وهي: اللّسانيّات التّوليديّة والتّحويليّة، واللّسانيّات الدّلاليّة التّوليديّة، واللّسانيّات العربيّة التّقليديّة (نفسه، ص 100).

1. قسّم تراكيب اللّغة العربيّة إلى أربعة أساسيّة وهي: التّركيب الفعليّ، التّركيب الاسميّ ذو الخبر الفعليّ، التّركيب الاسميّ ذو الخبر الاسميّ، التّركيب الكونيّ (نفسه، ص 104)
2. قام بوصف التّركيب العميق للجملة العربيّة وفق المنهج الدّلاليّ التّصنيفيّ، والأدوار الدّلاليّة الّتي وضعها عالم الدّلاليات الأمريكيّ (ولتركوك).
3. يقرّ مازن الوعر بأهميّة العلامة الإعرابيّة؛ إذ يعتبرها عاملا دلاليّا يساهم في وصف التّركيب العربيّ؛ كما أنّ تطبيق آليّات المنهج التّوليديّ التّحويليّ يمكّن من معرفة البنية السّطحيّة والعميقة (نفسه، ص 96، ص 97).
4. يشترط الوعر عند إجراء الحركات التّحويليّة على التّركيب تجنّب حدوث لبس دلاليّ مثل: (ضرب موسى عيسى)، و(ضرب عيسى موسى)، وعليه فإنّ التراكيب التي ليس لها ضوابط نحويّة لا يمكن تحريكها.
5. طبّق الوعر معايير التّحويل أيضا على التّراكيب الاستفهاميّة التي قسّمها إلى تركيبين هما: استفهام الإثبات أو النّفي، والاستفهام الإخباريّ، وهما عرضة لتحوّلات لغويّة عديدة وبالتّالي دلالات مختلفة (نفسه، ص 111).

2. محاولة ميشال زكريا:

يعتبر ميشال زكريا من الباحثين واللغويين العرب الذين قاموا بوصف النّحو العربيّ بأدوات مستمدّة من النظريّات اللسانيّة الغربيّة، وخاصّة الاستفادة من آليّات وأدوات المنهج التّوليديّ التّحويليّ؛ وكانت رؤيته التّجديديّة منصبّة على دراسة الجملة أوّلا، وخاصة في كتابيه: (الألسنية التوليدية والتحويلية، قواعد اللغة العربية)، وكتاب (الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية: الجملة البسيطة)، فهو يحاول تفسير البنية الجمليّة البسيطة في اللّغة العربيّة (ميشال، 1986، ص 18)، ويتّضح ذلك من خلال أنّ المفهوم الأقرب للتّعليل في النّحو التّوليديّ هو مفهوم التّفسير الّذي نادى به تشومسكي واتّكأ عليه الباحثون المحدثون في الاتّجاه التّفسيري لتحديد موقفهم من التّعليل النّحويّ، ففي سياق نظريّة التّعليل النّحويّ لدى اللّسانيّين التّوليديّين العرب المحدثين نجد ميشال زكريا يُقرّ بدعمه للتّفسير في النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة في محاولته لبيان عدم كفاية التّحليل اللّغوي التّراثيّ، ففي رأيه أنّ «هذه الدّراسات، وإن دلّت على المجهود الذي قام به اللّغويون في مجال دراسة اللغة، وإن كانت تساعدنا على فهم بعض القضايا اللغوية لم تعد تفي في الحقيقة في مجال تحليل اللغة، ففي هذا المجال تكوّن النّظريات الألسنية العلمية الحديثة في نظره التقنية المتطوّرة التي يتسلّح بها لسبر قضايا اللغة وتفسيرها وتوضيحها» (نفسه، ص 05).

ومن الملامح التّجديديّة عند زكريّا أنّه ينظر إلى إمكانية عدّ (النّعت) وصفا يُشتقّ منه الفعل، وذلك بالاستناد على الفرضيات المعجمية، ويترتّب على هذه النظرة رفض اشتقاقية "النعت"، طبعا على مذهب النّحو التّحويليّ، وقد وضّح ذلك بالجمل التالية (نفسه، ص 97)

- الرجلُ كريمٌ.
- الرجلُ جالسٌ.
- الرجلُ مضروبٌ.
- الرجلُ قتّالٌ.

من خلال هذه الجمل يتبيّن لنا أنّ المورفيمات: (كريم، جالس، مضروب، قتّال)، هي عبارة عن صفات، يشبه عملها عملُ الفعل، وبهذا يمكن استبدال النعت/الصفة في الجمل السابقة، والحصول على جملة أصولية، كما هو الحال في الجمل التالية (نفسه، ص 98).

- الرجلُ كرُمَ.
- الرجلُ جلس.
- الرجلُ ضُربَ.
- الرجلُ قُتلَ.

وهذه الرؤية التي قدّمها ميشال زكريا تستند في حقيقتها إلى نظرية العامل، ومفادها أنّ النعت يعمل عمل الفعل إلى عبارات كثيرة نحو:

- جاء الرجلُ القاتلُ زيدا.
- جاء الرجلُ الذي هو قاتلٌ زيدا.

ويمثل المشجر التالي نسبة هذه الجملة:

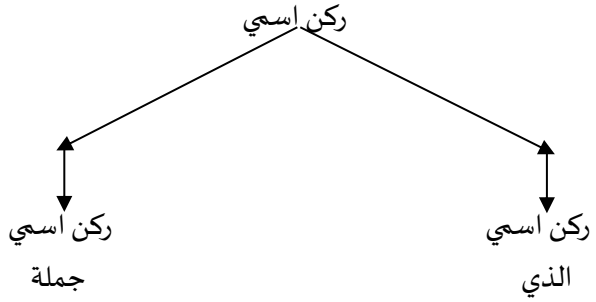

وإذا كان زكريا يرى أنّ النعت يُشتقّ من الفعل في الأمثلة السابقة، يرى أنه في حالات كثيرة لا يشتقّ منه مثل:

- الرجلُ أسدٌ.
- الرجلُ لبناني.

ففي هذين المثالين لا يمكن أن يكون النعت مشتقاً من الفعل؛ لأنّ النعت هنا لا يقابله فعلُ معروف.

ويرى (عطا محمد موسى) أنّ هذا التوجه الذي قدّمه ميشال زكريا ضعيفٌ من جهتين (نفسه، ص 256):

1. أنّ النعت من المستوى الثاني للتركيب في الجملة العربية، ولا مسوّغ لإدخاله ضمن المكوّن الأساسي.
2. لا يوجد من النحاة القدامى من أشار إلى أنّ النعت هو أصل الاشتقاق، إذ إنّ أصل المشتقات هو الفعل والمصدر، وليس النعت.

وفي ما يخصّ "التعليل"، فقد جعله ميشال زكريا ضمن مفهوم التفسير في النحو التحويلي، إذ «التعليل في النحو العربي مسلوخ عن العربية وخاص بها؛ غايته تفسير الظّواهر النحوية في النحو والصرف والصوت، فالجملتان: (مشى زيد ومشى البحر) صحيحتان نحوا وصرفا وصوتا، ولا مدخل للدلالة المعجمية فيهما، إذ لا تُعارض الجملة الثانية معايير الصواب في النحو والصرف والصوت، مع أنّ الفاعل فيها لا يحمل صفات الفاعل الدلالية في الجملة الأولى، والتعليل في النحو العربي محدّد من محدّدات الصواب: فعلّة رفع كلمة (زيدٌ) في جملة (زيدٌ طويلٌ) أنّها مبتدأ، وهي نفس العلّة التي ترُدّ جملة (زيدا طويل)؛ لأنّ المبتدأ لا يُنصب، أمّا التفسير في النظرية التوليدية التحويلية فليس محدّدا من محدّدات الصواب النحوي» (الملخ، 2000، ص 32).

وهذه الرؤية لا تخرج عن آراء تشومسكي؛ فالبنية السطحية للجملة قد تكون لها بنية عميقة، وفيها عناصر أساسية غير متحققة في البنية السطحية، وفي هذه الحالة نحن نتجاوز الوصف لنصل إلى التعليل والتقدير، والأخذ بالتفسير يؤدي إلى التقدير، والتقدير يؤدي إلى التعليل في النحو العربي، كما في تقدير المبتدأ أو الخبر إن تمّ حذف أحدهما.

1.4. المنهج التّأصيليّ:

يحاول المنهجُ التّأصيليُ الكشف عن جوانب من التّفكير اللّغوي عند العرب على اعتبار أنّ التراث اللغوي العربي هو الأصل، وأنّ معطيات علم اللّغة الحديث تتفق في كثير من المحاور مع تراثنا اللغوي سعيا وراء تأصيل هذا التّراث وفق نظريّات علم اللّغة، وتمهيدا للكشف عن نظريّته الأصليّة.

اهتمّ العرب بلغتهم كلّ الاهتمام ما يجعل الرّجوع إلى التّراث العربي بكلّ مرجعياته بمثابة تأصيل للبحث اللّساني الحديث، «فمبدأ استلهام التّراث يتنزّل لدى العرب في عصرنا منزلة مُولّد التّأصيل الفردي الّذي بدونه يظلّ الفكر العربي سجين الأخذ محظورا عليه العطاء» (المسدي، 2005، ص 12).

نجد أصدق من مثّل هذا الاتجاه عبد الرحمن الحاج صالح، وعبده الراجحي، وغيرهم كثير، فقد اهتمّ هؤلاء بمفهوم الأصالة، واعتمدوها كأساس في دراستهم للتراث العربي، وقد لا يؤيّد كثيرٌ من المثقّفين فكرة أنّ الأصالة في مقابل الحداثة.

ويرى الحاج صالح أنّ العلاقة بين الأصالة والحداثة بمثابة المبدع الّذي يأتي بالجديد، يقول: «أمّا الأصالة فإنّنا لا نشاطر نظرة الكثير من المثقّفين عندما يقابلون هذا المفهوم بالحداثة أو المعاصرة، فإنّ الأصالة تقابل في الحقيقة التّقليد أيّا كان المقلّد المحتذى به سواء كان العلماء العرب القدامى أو العلماء الغربيين، إذ الأصيل هو الذي لا يكون نسخة لغيره، فكأنّ هؤلاء المثقفين بجعلهم الأصالة في مقابل المعاصرة، لا يتصوّرون هذه الأصالة إلّا بالرّجوع إلى القديم. فالأصيل في الواقع هو المبدع الذي يأتي بشيء جديد لم يُسبق إليه مهما كان الزّمان الذي يعيش فيه، والأصالة في زماننا هذا، وعلى هذا الأساس، هي الامتناع من تقليد الغربيين خاصّة» (صالح، 2012، ص 11).

فالنحوُ العربيُ عربيٌ في أصوله وجذوره، وهذا يدفعنا إلى أن نبحث في الأصول والأنظار العلمية الّتي بنى عليها النحاةُ الأوائلُ معالم النحو العربي، وكأنها الأنظارُ ذاتها الّتي توصّل إليها علم اللّسان الحديث لاسيما في المدرسة التحويلية، فعبد الرحمن الحاج صالح يرى أنّ هذه الأنظار منطلقات النّحاة الأوائل كالخليل وسيبويه في الدّرس النّحوي.

وعليه فإنّ جمهور الباحثين اللّغويّين العرب المحدثين يرون ضرورة إعادة قراءة نظريّة النّحو العربيّة من أجل تقويمها، وتوجيهها بالاستفادة من مقولات علم اللّغة الحديث، وحول هذه القضيّة وجّهوا جملة من الانتقادات للنّحو التّقليديّ نعرضها فيما يأتي:

- اعتماد النّحو التّقليديّ على المنهج الذّاتي، الّذي يحدّد قواعد اللّغة انطلاقا من فهم المعنى، لا من دراسة الظّواهر اللّغويّة، وبذلك غياب المنهج العلميّ الموضوعيّ عكس النّحو الوصفيّ في اللّسانيّات الحديثة.
- تأثّر النّحو التّقليديّ بالمنطق الأرسطي، وبذلك جعلوا من اللّغة عقلا لتفسير الظّواهر اللّغويّة وهذا مناف للنّحو الوصفيّ في مجال علم اللّغة الحديث الّذي يفسّر ظواهر اللّغة دون فرض القواعد (داود، 2001، ص 169).
- قيام النّحو العربيّ على الاتّجاه المعياريّ المبنيّ على التّخمين والافتراض وكلّ ما يحمله القياس المنطقيّ، وهي أسس ضعيفة لا تصلح في خطّة البحث العلميّ الموضوعيّ.
- إهمال عامل الزّمن فسلكوا نهجا ضيّقا بوقف الاستشهاد في علوم اللّغة بمنتصف القرن الثّاني للهجرة للحضر، وأواخر الرّابع للبدو، وهنا أغلقوا باب البحث في اللّغة لمّا أغفلوا كون اللّغة ظاهرة اجتماعيّة قابلة للتّطوّر (بشر، 2005، ص 321).
- اختلاط مستويات التّحليل اللّغويّ في النّحو التّقليديّ، وتداخلها عكس ما أقرّ به الوصفيّون من وجود مستويات مختلفة في الكلام ولكلّ منها نظام وقوانين تمتاز بها عن الأخرى (السامرائي، 1995، ص 26)

سنكتفي بالمحاولة التجديدية التي أقرّها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

ج- محاولة عبد الرحمن الحاج صالح (ت 2017 م):

عُرف عبد الرحمن الحاج صالح بتعلّقه بما كتبه اللغويون والنحاة الأوائل، وقراءاته الواسعة للتراث العربي التي عرّفته بعناصر الأصالة، ومقوّماتها في الدرس اللغوي عند النحاة الأوائل، أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه.

وقد تطرّق إلى دراستهم بموضوعية دون تحيّز، كما عُرف بدفاعه عن أصالة التراث النحوي وخلوّه من أي منطق أرسطي؛ ه يتصدّر كتابه (منطق العرب في علوم اللسان) كعنوان للباب الأول من الكتاب فيقول: "كتبتُ تحت هذا العنوان بحثا نُشر في مجلة كلية الآداب بالجزائر في عام 1965 حاولت أن أبيّن فيه أن النحو العربي لم يتأثر بمنطق أرسطو لا في نشأته قبل سيبويه ولا بعد ذلك" (صالح، 2012، ص 37).

جعل عبد الرّحمن الحاج صالح دراساته تحت مسمّى (النظرية الخليلية) التي جاءت للتوفيق بين القديم والحديث، واستخراج مفاهيم ومبادئ هذه النظرية من النظرية العربية القديمة، وأشار إلى أنّه لا توجد نظرية استُخرجت من النظر في العربية إلا التوليدية.

يقول: «...عن المفاهيم والمبادئ الّتي استخرجناها من النظرية اللغوية العربية القديمة، وإنّنا نعتقد أنه لا توجد لغاية الآن نظرية أخرى استُخرجت من النظر في اللغة العربية أو على الأقل اعتدّت اعتدادا كبيرا بها وبأخواتها، اللّهم إلّا النظرية التوليدية التحويلية التي تجاوز فيها صاحبُها التقطيعية والتصنيف الساذج، وقد استفاد أيّما استفادة في ذلك من النظر في اللغة العبرية على المنوال الذي تنُوولت به في القرون الوسطى» (صالح، 2012، ص 226).

فالنظرية الخليلية: نظرية معاصرة، تؤكّد ضرورة الرجوع إلى التراث العلمي اللغوي الأصيل لفهم أسرار فقه اللغة العربية.

يرى أصحابُ الاتّجاه التأصيلي، أنّه لا بأس في ربط المجهودات اللّغويّة المتعلّقة بالنّحو في تراثنا العربيّ بنظريّات علم اللّغة الحديث، وذلك بدراسة أوجه التّلاقي والاختلاف بين النّظريّتين، وتقديم النّظريّة النّحويّة بمنظار المعاصرة. وهذا ما أشاد به محمود نحلة؛ إذ حثّ على قراءة التّراث اللّغويّ العربيّ قراءة معاصرة في ظلّ اتّجاهات ومناهج الدّرس الحديث في دراسة الظّواهر اللّغويّة للكشف عن خبايا النّظريّة النّحويّة، وعلاج جوانب النّقص (نحلة، 2002، ص 05).

ويعقّبُ عبد الرّحمن الحاج صالح على هذه القضيّة فيقول: «إنّ المقصود من قراءة التراث ليس هو إسقاط المذاهب والنظريات الحديثة على المذاهب العربية القديمة، إذ لا نريد النظر فيما أخرجه القدامى، وفي أعيننا نظراتٌ خاصة بالعصر الذي نعيش فيه، فنطمس الرؤية القديمة بالرؤية الجديدة ولو من بعض الجوانب» (صالح، 2012، ص 08).

وعليه يجب أن نجعل من علم اللّغة الحديث ومناهجه المعاصرة أداة علميّة لتقويم قضايا النّحو العربيّ وتوجيهها، فلا يمكننا فصل النّظريّة النّحويّة عن اللّسانيّات الحديثة ومناهجها، من أجل تسهيل تلقّي هذه المادّة على متعلّميها، وإخراج نحو العربيّة من شكله التّقليديّ، هذا ما أشار إليه الخولي مردّدا: « لقد بقي علمُ نحو اللغة العربية على شكله التقليدي الذي اتخذه منذ بضع مئات من السنين، ولقد آن الأوانُ لينموَ هذا العلم، ولا نقول ليتغير، ولقد حاولنا في هذا الكتاب أن نعطي هذا العلم نظرة مختلفة إلى طبيعة تراكيب اللغة وعلاقاتها بعضها ببعض» (الخولي، 1999، ص و).

وكان للحاج صالح موقفٌ متوازنٌ في تحديد وظيفة العامل في (النظرية الخليلية الحديثة)، إذ يجعل العامل محور التركيب ونواة الكلام، وقد أثبتت النظرية التوليدية التحويلية صحّة ما ذهب إليه الأقدمون بشأن العامل وأهميته في تفسير الحقائق اللغوية للتركيب وتحديد القواعد، ويرجع اهتمامه بنظرية العامل واختياره لها إلى أنّها «أطوعُ نظرية للصياغة الرياضية

في اعتقاده، ومن ثم تشكيلها الخوارزمي، ويمكن استعمالها على الرتاب (الحاسب الالكتروني)، ومن جهة أخرى استغلالها في الاكتشاف الآلي لصيغ العربية الإفرادية والتركيبية» (السيد، 2018، ص 152).

وهذا الاهتمام بنظريّة العامل أعطى الفرصة لإحدى دعائم التراث النحوي العربي للانبعاث من جديد؛ رغم أنّها أُهملت من طرف الاتجاه الوصفي السابق.

وبالتّالي، فإنّ الرّبط بين الفكر اللّغويّ عند العرب، ونظريّات البحث اللّغوي الحديث بات ضرورة ملحّة، وهذه المسألة لا تنقص من شأن التّراث العربيّ، وإنّما معطيات المناهج اللّسانيّة الحديثة تبدو متطوّرة بالنّسبة لزمانهم.

4. الاستنتاج:

حسب ما ذكرناه من مواقف نقديّة حول النّظريّة النّحويّة، ومن آراء متضاربة حول المنهج القديم؛ الأمر الّذي جعل علماء اللّغة والباحثين العرب المحدثين يرفعون راية الإصلاح بحثا عن منهج جديد يعالج ما فسد منه، بربط جهود النّحاة العرب مع المناهج الحديثة، وهذا الرأي المرجّح للتّأييد، وبعد تتبّعنا لعناصر هذا البحث نكون قد توصّلنا إلى النّتائج التّالية:

- ✓ علينا الاجتهاد في دراسة اللّسانيّات الحديثة وفهمها دون المساس بأسس النّظريّة النّحويّة، واستخدام المناهج المعاصرة أداة لإزالة التّعقيدات الّتي سببّت الشّكوى والنّفور، فلا يجب أن تكون قطيعة بين التّراث والدّرس اللّسانيّ المعاصر، ولا التّعصّب للتّراث بحجّة المحافظة عليه.
- ✓ إنّ إسهامات اللّسانيّين العرب المحدثين لا ينكرها باحث جادّ، فقد اتّسمت بالعلميّة، والمنهجيّة، تحت راية التّجديد والتّسهيل.
- ✓ ظهرت محاولاتٌ كثيرةٌ لتجديد النّحو وتيسيره، وقد سار ت في اتّجاهات نذكر أبرزها: اتّجاه ينادي بالتّجديد والتّيسير في المادّة النّحوية تحت عناوين مختلفة: كالإحياء والتّجديد والتّيسير والإصلاح، وقد يذهبُ البعضُ إلى إعادة النّظر في أصول النّحو وقواعده، واتّجاه يرى أنّ التّيسير والتّجديد يكمن في طريقة عرض المادّة، وكيفيّة تبسيطها، وإعادة ترتيب أبوابها، مع الحفاظ على أصول النّحو وقواعده.
- ✓ يركّز المنهج الوصفيّ في تجديد النّحو العربيّ على الجانب الشّكليّ الخارجيّ للّغة عموما، كما أنّه ينفر من التّعليل القائم على التّأويل، والتّقدير،
- ✓ يسعى المنهجُ التّوليديّ التّحويليّ إلى محاولة بناء نحو جديد يتجاوز التّعليل في النّحو العربي، والمتتبع لمسار المنهج التّوليدي في الدرس اللغوي العربي قد خطا خطوات حثيثة للرقي بعلم النحو.
- ✓ يحاول المنهجُ التّأصيليُ الكشف عن جوانب من التّفكير اللّغوي عند العرب، وفق علم اللغة الحديث.

وفي الختام إنّ هذه القضيّة وإن تشابكت فيها الرّؤى واختلفت، وتعدّدت الآراء حولها وتصادمت؛ إلّا أنّها تصبّ في ميدان واحد هو الحركة (التّجديديّة للنّحو العربيّ)، وإن اختلفت الآراء وزوايا النّظر.

المراجع:

1. أنيس، إبراهيم. (1966). *من أسرار اللغة*. (ط03) القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية.

2. بشر، كمال. (2005). *التّفكير اللّغويّ بين القديم والجديد*. القاهرة:دار غريب.
3. تمّام، حسّان. (1992). *اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة*. الدار البيضاء، المغرب: دار الثقافة.
4. _____ (1993). *البيان في روائع القرآن – دراسة لغويّة وأسلوبيّة للنّصّ القرآنيّ*، القاهرة، عالم الكتب.
5. _____ (1998). *اللّغة العربيّة – مبناها ومعناها*. (ط03). القاهرة: عالم الكتب.
6. _____ (2006). *اجتهادات لغويّة*. القاهرة: عالم الكتب.
7. _____ (2006). *مقالات في اللغة والأدب*. القاهرة: عالم الكتب.
8. الحاج صالح، عبد الرّحمان (1973). أثر اللّسانيّات في النّهوض بمستوى مدرّسي اللّغة العربيّة. *مجلّة اللّسانيّات*، 04(01).
9. (2012). *السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
10. _____. *بحوث ودراسات في اللسانيات العربية*. الجزائر: موفم للنشر.
11. _____. *منطق العرب في علوم اللسان*. الجزائر: موفم للنّشر.
12. السيد، حامد عبد السلام. (2018). النظرية النحوية عند عبد الرحمن الحاج صالح. *Route Educational& Social Science Journal*،5(10).
13. حلمي، خليل. (1996). *العربية وعلم اللغة البنيوي*. الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة.
14. الخولي، محمّد علي. (1999). *قواعد تحويليّة للّغة العربيّة*. عمان:دار الفلاح.
15. داود، محمّد. (1999). *العربيّة وعلم اللّغة الحديث*. القاهرة: دار غريب.
16. الراجحي، عبده. (1979). *النحو العربي والدرس الحديث ـ بحث في المنهج*. بيروت: دار النهضة العربية.
17. الزّجاجي، أبو القاسم. (1979). *الإيضاح في علل النّحو*. (ط03). مازن المبارك(محقق). دار النّفائس.
18. السّامرّائي، إبراهيم. (1995). *النّحو العربيّ في مواجهة العصر*. بيروت: دار الجيل.
19. ضيف، شوقي. (د.ت). *تيسير النّحو التّعليميّ قديما وحديثا*. (ط02). القاهرة: دار المعارف.
20. العلوي، حافظ إسماعيل. (2009). اللّسانيّات *في الثّقافة العربيّة المعاصرة –دراسة تحليليّة نقديّة في قضايا التّلقّي وإشكالاته*. لبنان: دار الكتاب الجديد المتّحدة.
21. الفهري، عبد القادر. (1993). *اللسانيات واللغة العربية*. (ط03). دار توبقال للنشر.
22. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. (د.ت). *المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير*. (ط02). عبد العظيم الشناوي(محقق). القاهرة: دار المعارف.
23. القرطبيّ، بن مضاء. (1947). *الرّدّ على النحاة*. شوقي ضيف(محقق). دار الفكر العربي.
24. المسدي، عبد السلام. (2005). *التفكير اللساني في الحضارة العربية*. تونس: الدار العربية للكتاب.
25. مصطفى إبراهيم. (د. ت). *إحياء النّحو*. القاهرة.
26. الملخ، حسن خميس سعيد. (2000). *نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين. عمان:* دار الشروق.

27. موسى، عطا محمد. (2002). *مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين*. الأردن: دار الإسراء للنشر والتوزيع.
28. ميشال، زكريا. (1979). *الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية–الجملة البسيطة*. (ط02). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات.
29. نحلة، محمود. (2002). *آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر*. مصر: دار المعرفة الجامعيّة.
1. النّعيمي، زينب. (د. ت)، جهود التّجديد والتّيسير عند شوقي ضيف وعبد الرّحمان أيّوب، *مجلّة واسط للعلوم الإنسانيّة*. ع(15).
30. وادي، طه وآخرون. (2003). *شوقي ضيف سيرة وتحية*. القاهرة: المجلس الأعلى للثّقافة.
2. الوعر، مازن. (1984). نحو نظرية لسانية حديثة وواقعية لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، *مازن مجلّة المعرفة*. وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ، سوريّة. ع (266).